

حرب الأجيال

الأستاذ عباس محمود العقاد

—••••—

أعلن الناقد الإنجليزي «فرانك سوينرتون» في صحيفة «الأوبزرفر» عن قرب صدور الكتابين الجديدين للمؤلفين الكبيرين «ولز» و «موجهام» فقال في مقدمة كلامه :

«هناك تناقض يترى بالتساؤل بين موقف المصريين وموقف الجيل الفكتوري حيال الكتاب النابيين . فقد كان هؤلاء الكتاب يحاطون بالإجلال والهروب حين ينتهون إلى الشيخوخة ويقلعون عن التأليف ، وكانوا قبلة التبجيل والتشريف والحجيج من سائر البلاد . أما اليوم فتقضى ذلك هو الواقع : اليوم يلبث كتاب الأمس في الميدان ولا يخرجون منه ولا ينظلمون إلى إجلال مرهوب أو يستقبلون التبجيل والتشريف ، وكل شاب ذى ملكة موهوبة يقتضيهم الثناء السخى والتشجيع ولكنه يرى لنفسه حقاً في الإنحاء عليهم واتهامهم بالوقوف في طريق الثورة الأدبية»

هذه حرب الأجيال التي يتحدثون عنها في البلاد الأوربية ، ويقصدون بها قيام جيل من الكتاب والأدباء وراء جيل ، ومحاولة الجيل الجديد أن يفسح له مكاناً إلى جانب الأعلام النابيين في ميدان الأدب والتأليف

وهذه الحرب قديمة لم تنشأ في زماننا هذا ولا في الزمان الذي قبله وإن اختلفت فيها الدعاوى والأساليب

ولكنها اشتدت في الجيل الحاضر لموامل جديدة طرأت عليها : منها التراحم المنيف ، ومنها أن النظرة إلى «الماضى» اختلفت بين العهد الفكتوري والعهد الحاضر ، أو بين أوائل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

كان التوقير حقاً للماضى ، لأن الناشئين كانوا ينتظرون منه كل شيء ويتجهون إليه إذا أرادوا العلم والخبرة والحكمة والمهابة أما اليوم فقد جدت مشكلات نفسية واجتماعية ليس للماضى فيها تصرف ولا احتيال ، ولا يتجه فيها أحد إلى الماضى ليعرف ما عنده لها من علاج وتدير ، لأنها لم تكن معروفة فيه ولم تكن

١٢ • ٢٨

معروضة على أهله ، فتخول الاتجاه من الماضى إلى المستقبل ، وبطل ما كان مألوفاً مقررراً للماضى من التبجيل والتشريف هذه المشكلات هي سر الحياة وسر الإزمات العالمية وسر القلق والاضطراب في علاقات الاجتماع

ليس للماضى فيها تصرف ولا احتيال . فهل التصريف والاحتيال فيها للحاضر ؟ وهل هما للمستقبل القريب أو البعيد ؟ كلا ! التصريف والاحتيال فيها للزمان وللعمل المشترك بين جميع الناس من شيوخ وكهول وشبان وأطفال لا يزالون في المهود أو لا يزالون في الأصلا

وهل يرجى أن يجرى على الدنيا عهد من المهود خلواً من المشكلات التي تطلب الحلول ولا يتفرد بحلها جيل واحد من الأجيال ؟

كلا ! إن هذه المشكلات لا يحلها الحاضر ولا المستقبل برأى هذا أو باحتيال ذاك ، ولكنها تنحل مع الزمان تارة بالعمل المقصود وتارة بأعمال كثيرة غير مقصودة ، ولا تزال طبقة منها وراء طبقة على مدى السنين

هذه هي الحقيقة التي يحلها بعض المتجولين . وليس من غرضنا في مقالنا هذا أن نسهب في توضيحها وتحميص نظرات الناظرين إليها ، وإنما أردنا أن نشير إلى العامل الجديد الذى أضاف بعض الشدة والعنف إلى حرب الأجيال ، وأدى إلى ذلك الموقف الذى نلخصه «فرانك سوينرتون» فيما تقدم

يوشك من يقرأ كلمة الناقد الإنجليزي ويذكر ما يكتب في مصر وفي بعض الأقطار العربية أن يادرفيقول : «إن بعض الحال من بعض» أو «الحال من بعضه» كما يقول العامة في البلاد المصرية ...

فإن قال قائل مثل هذا فهو غطىء ، لأن الحال الذى يحسب «بعضه من بعض» لمتلف أبعد اختلاف .

هناك يتكلمون عن الشيوخ الذين أنافوا على السبعين ، وهنا يظالبون الكهول فيما دون الخمسين بالكوث والازواء .

هناك يأتى بعد جيل «ولز» جيل مكمل وهو فى الزاينة والأربعين ، ثم يأتى بعده جيل الشبان الناشئين وهم فى نحو

المسلية التي تشبه الأفيون في التخدير والإرضاء وتشبه في هدم القوى وتخريب الأذهان

وكثيراً ما تسمعون يقولون : كيف تأتينا الشهرة وهؤلاء الكهول أو الشيوخ يحتكرون ثناء الصحف السيارة ويستأثرون بميدان الدعوة والتأليف ؟

وهذا بعينه هو الأفيون إن لم تقل هو أخبث من الأفيون في الكذب والتحطيم

فقد صدر في مطلع هذا العام كتب ثلاثة لمن يسمونهم بالكهول والشيوخ وهم طه حسين واحمد أمين وكاتب هذه السطور . فكم نهراً من أشهر الصحف اليومية قرأوه في تقرّظ هذه الكتب أو في الإشارة إلى صدورها ؟

لا أذكر أنني قرأت شيئاً ذا بال في الصحف اليومية عن كتاب طه حسين « مستقبل مصر الثقافي » أو كتاب احمد أمين « فيض الخاطر » .

أما كتابي رجعة أبي العلاء فقد ظهر وأوشك أن يباع نصفه ولما تذكر صحيفة يومية واحدة أنه صدر من المطبعة بمجرد صدور ... والكتب مع هذا تسير في طريقها وتلقى حظها من الذبوع فالواقع أن جيل الأدباء الكهول في مصر جيل لا يدين لأحد بما أصاب من شهرة ومكانة ، وهو في هذه الخصلة جيل فريد بين أدياء العالم من أقدمين ومحدثين

فالأدباء الأقدمون كانوا يمولون على النصارى والشجعين ويمتدنون على الخلع والمهبات

والأدباء المصريون في أوربا يمولون على دعوة الناشرين وإقبال الملايين من القراء في لغاتهم وفي اللغات الأخرى التي يترجمون إليها أما أدياء الكهول والشيوخ المصريون فلا نصراء ولا مهبات ولا دعوة ناشرين ولا ملايين قراء ، وكل ما هنالك حصد واضطغان واستهداف للبذاء من ماجورى الشيوعيين وماجورى أصحاب المطامع ومن تقعد بهم الرخاوة عن الجهد والكفاح

فاذا كانوا لا يترى لو أصابوا من الكسب والشهرة ما يصيبه برناردشو أو ولز أو موجهام أولديفيج من طبعة واحدة لكتاب واحد يباع للقراءة ويباع للتمثيل ويباع للصور المتحركة ويباع للترجمة في بضع لغات !

الثلاثين ، وهنا لا يتجاوز الشاب العشرين حتى يتعجل الشهرة بل يريد لها وحده خالصة دون أبناء الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين ، بل دون زملائه الآخرين من أبناء العشرين .

هناك يؤلفون ويبتدعون ويترجمون الرأى بالرأى ، والهيج بالنهج ، والتفكير بالتفكير ؛ وهنا لا يؤلفون ولا يفكرون ولا يقرأون ، ولا يزيدون على إبراز شهادة الميلاد والترنم بما يسمونه حقوق الجيل الجديد .

هناك يثبون إلى المستقبل فيسبقون ، وهنا يرجعون إلى الوراء ويشبهون البيناوات في ترويد الصياح القديم .

أضف إلى هذا أموراً أخرى تختلف فيها البواطن والظواهر ويؤجر عليها القادحون في مشاهير الكتاب لغرض ليس بالصریح ولا بالشريف .

فهم تارة ماجورون لأصحاب المطامع السياسية الذين يريدون القبض على أئنة الدعوة في بلاد الشرق ، فلا يملكون هذه الأئنة والمشاهير من الكتاب قائمون مسموعون ، فيذلون ما في وسمهم للفض من أولئك الكتاب والتطاول عليهم بالصياح والضجيج الذي قد يروج بين الأوشاب والأغمار ، لأن الأوشاب والأغمار لن يطلبوا دليلاً ولن يعيزوا ما يسمعون .

وهم تارة ماجورون للشيوعيين الذين ينادون بالأدب الدارج أو أدب اللغة العامية لأنه أدب « الصعاليك » وهم يمشرون بدولة الصعاليك ولا يصرم أن ترسخ في الشرق العربى آداب اللغة الفصحى ولا الآراء التي تناقض ما يدعون إليه من فوضى وابتذال ، بل لا يصرم أن تستقر في الأقطار العربية مكانة مصر خاصة لأن مصر خاصة قبلة المآثورات الموقرة من التاريخ القديم ، فإذا هدموا مكانتها فقد زال من طريقهم هذا المعقل الحصين وتمهدت الأرجاء بطاحاً ذلولاً ليس فيها ما يموق نميب ماركس وخليفته لتين ، وصاحبيه تروتسكى وستالين .

فاذا لم يكونوا ماجورين لأصحاب المطامع أو للشيوعيين فهم منرورون يهاضون على الشهرة ولا يتذرعون لها بأسبابها ولا يرجعون إلى ما فيهم من نقص وكسل وعجز عن الكفاح ، بل يفضلون التملل بالأسباب الواهنة والدعاوى الكاذبة والحجج